

221157 - تضعيف حديث الربيع بن أنس في حوار مع النصارى

السؤال

ما صحة هذا الحديث الذي ورد في " تفسير الطبري " (6/154) ، رواية رقم : (6544) ، وعند ابن أبي حاتم 9/408. أورداه جميعاً عند تفسير الآية الأولى من السورة الثالثة. (أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَبَّنَا حَيٌّ لَا يَمُوتُ ، وَأَنَّ عِيسَى يَأْتِي عَلَيْهِ الْفَنَاءُ) ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

عَنِ الرَّبِّيعِ بْنِ أَنَسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : (اَلَمْ يَلِدْ وَلًا اِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) [آل عمران/1] ، قَالَ :
 " إِنَّ النَّصَارَى أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَاصَمُوهُ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، وَقَالُوا لَهُ : مَنْ أَبُوهُ ؟ وَقَالُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَالْبُهْتَانَ . لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا .
 فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا يَكُونُ وَلَدٌ إِلَّا وَهُوَ يُشَبِّهُ أَبَاهُ ؟) ، قَالُوا : بَلَى .
 قَالَ : (أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَبَّنَا حَيٌّ لَا يَمُوتُ ، وَأَنَّ عِيسَى يَأْتِي عَلَيْهِ الْفَنَاءُ ؟) ، قَالُوا : بَلَى .
 قَالَ : (أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَبَّنَا قَيِّمٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ يَكْلُوهُ وَيَحْفَظُهُ وَيَرْزُقُهُ ؟) ، قَالَ : بَلَى .
 قَالَ : (فَهَلْ يَمْلِكُ عِيسَى مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ؟) ، قَالُوا : لَا .
 قَالَ : (أَفَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ؟) ، قَالُوا : بَلَى .
 قَالَ : (فَهَلْ يَعْلَمُ عِيسَى مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا إِلَّا مَا عَلِمَ ؟) ، قَالُوا : لَا .
 قَالَ : (فَإِنَّ رَبَّنَا صَوَّرَ عِيسَى فِي الرَّحِمِ كَيْفَ شَاءَ ، فَهَلْ تَعْلَمُونَ ذَلِكَ ؟) ، قَالُوا : بَلَى .
 قَالَ : (أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَبَّنَا لَا يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَلَا يَشْرَبُ الشَّرَابَ ، وَلَا يُحْدِثُ الْحَدَثَ ؟) ، قَالُوا : بَلَى .
 قَالَ : (أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ عِيسَى حَمَلَتْهُ امْرَأَةٌ كَمَا تَحْمِلُ الْمَرْأَةُ ، ثُمَّ وَضَعَتْهُ كَمَا تَضَعُ الْمَرْأَةُ وَلَدَهَا ، ثُمَّ غَذَّيَ كَمَا يُغْذَى الصَّبِيُّ ، ثُمَّ كَانَ يَطْعَمُ الطَّعَامَ ، وَيَشْرَبُ الشَّرَابَ ، وَيُحْدِثُ الْحَدَثَ ؟) ، قَالُوا : بَلَى .
 قَالَ : (فَكَيْفَ يَكُونُ هَذَا كَمَا زَعَمْتُمْ ؟)
 قَالَ : فَعَرَفُوا ثُمَّ أَبَوْا إِلَّا جُحُودًا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : (اَلَمْ يَلِدْ وَلًا اِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) [آل عمران/1] " .
 رواه الطبري في " جامع البيان " (5/174) ، وابن أبي حاتم في " التفسير " (2/585) بالإسناد السابق للحديث الأول نفسه ، ومنه تعلم أيضا أنه حديث ضعيف الإسناد كما سبق .
 غير أن ضعف الإسناد هنا لا يعني بطلان ما ورد في المتن ، بل معناه صحيح مؤكد بأدلة كثيرة من الكتاب والسنة الصحيحة .

سُئِلَ شيخ الإسلام ابن تيمية - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - :

عَنْ رَجُلَيْنِ تَنَازَعَا فِي أَمْرِ نَبِيِّ اللَّهِ " عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ " - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَقَالَ أَحَدُهُمَا: إِنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ تَوَفَّاهُ اللَّهُ ثُمَّ رَفَعَهُ إِلَيْهِ ؛ وَقَالَ الْآخَرُ: بَلْ رَفَعَهُ إِلَيْهِ حَيًّا. فَمَا الصَّوَابُ فِي ذَلِكَ ؟ وَهَلْ رَفَعَهُ بِجَسَدِهِ أَوْ رُوحِهِ أَمْ لَا ؟ وَمَا الدَّلِيلُ عَلَى هَذَا وَهَذَا ؟ وَمَا تَفْسِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى إِنَّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ؟ .

فَأَجَابَ:

" الْحَمْدُ لِلَّهِ ، عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حَيٌّ . وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: " يَنْزِلُ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا وَإِمَامًا مُقْسِطًا فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلُ الْخَنزِيرَ وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ " وَثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْهُ " أَنَّهُ يَنْزِلُ عَلَى الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ وَأَنَّهُ يَقْتُلُ الدَّجَالَ " . وَمَنْ فَارَقَتْ رُوحُهُ جَسَدَهُ لَمْ يَنْزِلْ جَسَدُهُ مِنَ السَّمَاءِ وَإِذَا أُحْيِيَ فَإِنَّهُ يَقُومُ مِنْ قَبْرِهِ. وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى إِنَّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الذَّنِّ كَفَرُوا : فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَغْنِ بِذَلِكَ الْمَوْتَ؛ إِذْ لَوْ أَرَادَ بِذَلِكَ الْمَوْتَ لَكَانَ عِيسَى فِي ذَلِكَ كَسَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبِضُ أَرْوَاحَهُمْ وَيَعْرِجُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ ، فَعَلِمَ أَنَّ لَيْسَ فِي ذَلِكَ خَاصِيَّةٌ. وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الذَّنِّ كَفَرُوا ، وَلَوْ كَانَ قَدْ فَارَقَتْ رُوحُهُ جَسَدَهُ لَكَانَ بَدَنُهُ فِي الْأَرْضِ كَبَدَنِ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ أَوْ غَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ.

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ؛ فَقَوْلُهُ هُنَا: بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ يُبَيِّنُ أَنَّهُ رَفَعَ بَدَنَهُ وَرُوحَهُ ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ يَنْزِلُ ، بَدَنُهُ وَرُوحُهُ؛ إِذْ لَوْ أُرِيدَ مَوْتُهُ لَقَالَ: وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ؛ بَلْ مَاتَ... وَلِهَذَا قَالَ مَنْ قَالَ مِنَ الْعُلَمَاءِ: إِنَّي مُتَوَفِّيكَ أَيُّ قَابِضُكَ أَيُّ قَابِضُ رُوحِكَ وَبَدَنِكَ ، يُقَالُ: تَوَفَّيْتُ الْحِسَابَ وَاسْتَوْفَيْتَهُ .. انتهى من "مجموع الفتاوى" (4/323) .

وقد سبق تفصيل أدلة نزول المسيح عيسى بن مريم عليه السلام في آخر الزمان في الأرقام الآتية : (43148) ، (137821) ، (218350) ، (110592) .

وأما حوار نبينا صلى الله عليه وسلم مع وفد النصارى ، فقد نقله العلماء في كتبهم من غير تكير ، كابن تيمية في " الجواب الصحيح " (1/196)، وابن حجر في " العجايب " (2/657)، وأكثر كتب التفسير والسير والتاريخ ، الأمر الذي يدل على قبول المعنى والمضمون ، وأما ثبوت النسبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فهو محل تضعيف كما سبق . والله أعلم .